

فكاهنايات

— الكولونيل جيرار^(١) —

— ٣ —

وعاد جيرار الى تنمة حديثه فقال

ان ما قصصته عليكم ايها الاخوان لا يؤازري ما سأخبركم به الآن عن عملٍ خطير قمت به يرغبني في تلاوته عليكم ما اراه في وجوهكم من علامات الاصفاء والارتياح ولكنني اشعر في نفسي بانقباض عند ما اقابل حياتي الجندية الماضية المملوءة من المخاطر والاعمال المحيطة بحياتي الحاضرة الساكنة الهادئة . ومما ذكرني ذلك الاستعراض الذي شهدته اليوم في ساحة المدينة فان شريطة الوسام التي ترونها على صدري سهلت لي الدخول الى افضل محل ومنه اشرفت على جميع الكنايب والفرق . وقد استحسنت مسير المشاة وهجومهم فلم اتمالك ان رفعت قبعتي لهم ثم اتت رجال المدفعية فحييتهم ايضاً ثم المهندسون فالفرسان فرجال الحراب فالمدرعون الى آخر الجيش . وكنت ارفع قبعتي لكل فرقة واشعر ان قلبي يرتفع ايضاً من مقره . كأنه يود ان يفارق جسمي الذي اضعفته السنون ويلحق بامثاله من قلوب اولئك البواسل . ومما زاد في تأثري مرور فرقة الهوسار وهي نفس فرقتي القديمة التي كانت تخوض غمار الموت وراء كولونيلها الفتى فما وقعت عيني على نظامها وهجومها حتى شعرت ان السنوات العديدة التي مرت بي قد طارت فجأة عن عاتقي وتخلت نفسي على ما كنت عليه قبل اربعين سنة فلم اعد ارى شيئاً امامي ورفعت عصاي وناديت باعلى صوتي نداً للحربي المعتاد « الى الامام - اتبعوني - ليحي الامبراطور »

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

واكن يا للاسف ان صوتي الذي كان يردد من اول الكتيبة الى آخرها لم يكذب يسمع اليوم ويدي التي كانت اعصابها من فولاذ ونار اصحت لا تكاد تحمل ثقل العصا . ورأى رجالي حماسي فهتفوا لي هتاف السرور حتى ان الامبراطور نفسه اتسم وحنى رأسه مسلماً . اما انا فلم اغتر بهذه الجملة فحزنت على شبابي الغابر وقوتي المتفانية وبقيت نهاري كثيراً كاسف البال . ولكن لادعي لازعاجكم بما يؤلمني فاسمحوا لي بزجاجة خمر برغندي فاني احوج اليها الآن من نبيذ بوردو لتزيل اتقباضي وتنير وجهي

ولما حضرت الزجاجة افرغ جيرار نصفها في كأسه وتجرعه دفعة واحدة ثم مص شاريه وأوقد لفاقةً واخذ في حديثه فقال

لما عادت جنودنا من موسكو بعد تلك الحادثة المشهورة كان مجرد النظر الى سيرها يفتت الاكباد ويذيب الجهاد لانه لم يبق من تلك الجيوش الكثيفة سوى كتائب قليلة متفرقة تسير افرادها الواحد بعد الآخر حانياً ظهره مطرقاً برأسه الى الارض أسفاً على الانتصار العظيم الذي منعه من الحصول عليه الطبيعة والعناصر والاقدار . وكانت طريقهم في وسط السهول الواسعة المكسوة بالثلج لا يرون فيها الا بقع الدماء والاعضاء المبتورة ومخلفات الحرب وكأن تلك الحالة نزعت كل سرور من قلوب الجنود فلم يكن فيهم من ينبس ببنت شفة وساد السكوت على تلك البقعة حتى ان الثلج اخفى صوت وقع الاقدام ودوس الحوافر . وكان يظهر على جوانب الخط من حين الى آخر كتائب من فرسان القوزاق فيلبثون ماضين في طريقهم وربما تتمجبون من عدم هجومهم على تلك الشراذم الباقية من رجالنا ليفنؤهم دفعة واحدة ولكن لا يخفى عليكم ان زمهرير البرد القارص وثلوج روسيا لم تكن لتطفى الحرارة المضطربة في قلوب الفرنسيين ولا سيما لان معهم المارشال ناي ذلك البطل الملقب بالاسد الذي كانت جيوش القوزاق ترتعب من مجرد نظره والذي كان صوته يفوق دوي المدافع وطلقات البنادق وقد كانت قبعته في ذلك الحين هي العلم الذي تجتمع اليه جميع ابطال فرنسا

اما انا وفرقتي الهوسار فلم نذهب مع الجيش الى موسكو ولكنهم تركونا في مدينة بورودينو للمحافظة على خط الرجوع . ولم افهم كيف استطاع الامبراطور ان يتقدم الى موسكو بدوننا وقد دلني عمله هذا على ان الاضطراب كان قد بدأ يؤثر في دماغه وان نجم سعادته اصبح على وشك الافول . ولما كان اهم واجبات الجندي الطاعة بقيت في بورودينو وانقطعت الى ترتيب الفرقة واعدادها بمؤونتها وذخايرها وخيولها . فلما عاد ناي بالشرازم التي ذكرتها كانت فرقتي من اتم الفرسان اهبة فانضمنا الى ناي . ولما رأني صافحني وقال . . . ولكن ما الفائدة من اعادة ما وجهه الي من كلمات الاطراء والمديح فاكتفي بأن اقول انه وكل الي حراسة جيشه وكف شر القوزاق الذين كانوا يتبعوننا كالذئاب منتظرين الفرص للايقاع بمن يتخلف منا على طول خط مسيرنا

واشدت علينا الضيق بين ويلفا وسمولنسك فاننا قاومنا البرد وتحامينا القوزاق اما الجوع فلم يعد في امكاننا دفع شره . واذ ذاك استدعاني المارشال ناي اليه فوجدته في عربة كان ينام فيها فلما شعر بقدمي نظر الي بوجه عليه علامات القلق والكد وقال ايها الكولونيل جيرار ان الرجال يتضورون جوعاً فيجب ان تقوتهم . فقلت على الفور دونك الخيول يا مولاي . قال لم يبق منها سوى خيول فرقتك وهذه لا يمكننا الاستغناء عنها . فقلت خذ خيول رجال الموسبقي لان هؤلاء لا يحاربون ويمكننا المسير بدونهم . فتبسم واخذ يدي فهزها وقال عافاك الله يا جيرار فانت مثلي لا تعرف معنى لكلمة اليأس . ثم تناول صحيفة فتحها امامي وقال انظر . وكانت الصحيفة خريطة دلني بأصبعه على نقطة فيها وقال هذه مدينة منسك وقد باغني من جاسوس روسي ان بهذه المدينة مخازن عديدة مملوءة قمحاً فأود منك ان تذهب بالعدد الذي تراه موافقاً من الرجال وتحضر لنا ما تيسر من القمح فتقابلنا قرب سمولنسك فاذا حبط سعيكم لم يكن فيه زيادة على خسارة بعض افراد واذا نجحتم فانكم تأتون بجياة جديدة للجيش كله . وعلمت انه يقول ذلك على خلاف اعتقاده لانه كان يعد خسارة الجيش بأسره اهون عليه من خسارتي وخسارة رجالي ولكنني لم

اقف عند ذلك وانصرف فكري الى خطورة المهمة التي كلفنيها والشرف الذي اناله اذا قضيتها فأجبتُه بكلام جعله يضمني الى صدره اعجاباً ببسالي واقدامي وقال اذهب ايها الحبيب لا عدمتك من رفيق

وقد رأيت الاحزم ان استصحب معي بعض الرجال الاشداء واجعل اعتمادي على القوة لاعلى الكثرة فاخذت كتيبة من رجالي وثلاثين فارساً بولونياً وخرجنا من المعسكر في نفس تلك الليلة ووجهتنا الجنوب الى منسك . ولحسن حظنا كان القمر في المحاق فانسلنا تحت ستار الظلام وكنا نرى عن بعد نيران فصائل من القوزاق فمال رجالي الى ان يوقعوا بهم وكدت اجاريهم في ذلك لولا رغبتى في الرجوع العاجل قبل ان يضر الجوع بالجيش . فتابعنا المسير وادركنا الفجر امام غابة دخلناها للاستراحة وجعلت اتفقد الموضع الذي بلغناه فوجدت اولاً اننا بعيدون عن كل خطر من جهة الجيوش الروسية التي اجتزنا حدودها بدون ان يُشعر بنا . ثم رأيت بالقرب منا قرية صغيرة في اولها بيت كبير والى جنوبيها على مسافة غير بعيدة مدينة مكتظة بقبب الكنائس عرفت اننا منسك . فاخبرت رجالي بغرضنا وموقعنا وحالتنا فلم يتالكوا ان صاحوا فرحاً وطرّاً . ولما اقتربنا من البيت الذي في اول القرية رأيت امام بابهِ جواداً مسرجاً وقبل ان ابغ اليه اندفع من البيت رجل فامتطى صهوته باسرع من ملح البصر واخذ يعدو في ذلك السهل بسرعة جعلت قطع الثلج تتطاير تحت حوافر الجواد كأنها شرر الكير . وتبينت الراكب فعرفت من لباسه انه ضابط روسي وادركت للحال انه اذا نجا منا لا بد ان ينبه كل تلك المقاطعات فتعرقل مسعانا . فاعلمت في خاصرتي فرسي المهاز وكنت راكباً احدى كرائم خيولي واسمها فيوليت وتحققت اني ان لم ادركه انا فان يقدر سواي على ذلك . ومازالت مجدداً في اثره حتى قاربته وكان يلتفت الى جهتي مرة بعد مرة كأنه يستشير افكاره في امر ثم اخذ من منطقته غدارةً واطلقها عليّ فمرت رصاصتها قرب رأسي . وقبل ان يتمكن من اخذ سيفه كنت قد صرت بجذائه فامسكته من عنقه بيد حديدية وجذبته اليّ فمر جواده من تحته وسقط الى الارض وكنت قد وقفت فرسي فوثبت

عنها وانا لا ازال قابضاً على عنقه . ثم ادركتني جنودي البواسل ورأى ان لا مناص له مني فاخذ من جيبه ورقة صغيرة مطوية وضعها في فيه بقصد ابتلاعها ولكن نسي المسكين ان عين جيرار لا يخفى عليها مثل هذه الامور فزدت الضغط على عنقه واخرج بعض الجنود سكيناً ادخله بين اسنان الاسير فاجبرناه على فتح فيه واخذت الورقة وقد تحقق لي انها رسالة يهمننا امرها . فكاد يبجن غيظاً واسفاً ولكنه تمالك وقال ما كنت اظن ان رجال الفرنسيين تهتم بالاطلاع على رسالة من عاشق الى عشيقته . فتبسمت وقلت له اعذرنا على فعلنا ايها الشجاع وتيقن اني اذا لم ار في الرسالة ما يهم جنودنا اعدتها اليك بمزيد الاحكام وكنمت ما فيها حتى عن نفسي . ولما رأيت رجالي قد تولوا المحافظة عليه فتحت الرسالة فرأيت فيها سطراً واحداً باللغة الروسية لم اتمكن من قراءته وادرتها على رفاقي فلم يوجد بينهم من يستطيع ان يفهم منها سوى انها موجهة الى الجنرال بلاتوف . ثم سألت الاسير عن اسمه فقال الكسيس باراكوف واخبرني انه كان في زيارة حبيته في القرية وهو عائد الى منسك . فقلت له اننا قاصدون تلك المدينة ايضاً فنتشرف بصحبتك بعد ان تستريح هنيهة في القرية . فتململ الضابط ثم هدأ روعه فمضى معنا ذليلاً . ودخلنا اول بيت صادفناه فوجدنا فيه رجلاً قبيح الخلقة لم يستقبلني بما ينبغي من الادب وكان له ابنة وحيدة هي عكسه في الصورة وحسن الخلق حنطية اللون ناعمة الجلد سوداء الشعر ولها عيان لم انظر اجمل منهما في حياتي . ولما وقع نظري عليها علمت لاجال انها اصبحت لي . ولم يكن الموقف موقف غرام غير اني كنت جائعاً فاحضرت لي زاداً وبينا كنت آكله وقفت تحادثني فعلمت ان اسمها صوفيا وعلمتها ان تناديني باسمي . ورأيتها حزينة النفس فاجتهدت في تسليتها وتعزيتها وضممتها الى صدري فمسحت بوجهي الدموع التي بدأت تتساقط من مقلتيها . وسألتها عن سبب بكائها فقالت اني ابكي لحالة اسيركم هذا فانه اذا كانت جنودكم انفسها تتضور جوعاً فلا شك انه سيلقي عندكم شر مية من الجوع والبرد ولقد رأيت في وجهك اثر الشفقة والحنو افلاتهب لي هذا الاسير . فتبسمت وقد لاح لي امر عزمته على اتمامه وقلت لها حباً وكرامة .

ثم نظرت الى الاسير فقلت له اني اطلق سراحك اكراماً لهذه الفتاة بشرط ان لا تغادر هذا البيت قبل اربع وعشرين ساعة . فوعدني بذلك وقد امتلأ فمه بالشكر لي فقلت له اذهب راشداً ولا تشكرني على ما فعلت بل اظهر عرفانك لهذه المنة لاول جندي فرنسوي تراه يحتاج الى مساعدتك . ولما خرج من امامي ابرقت اسرة صوفيا ونظرت اليّ شاكرةً فقلت لما قد وهبت لك ما سألت فأودّ منك في مقابلة ذلك ان تعلميني شيئاً من لغتكم . قالت افعل ذلك بكل سرور . قلت فلنبتدىء بقراءة هذه الوريقة واخرجت من جيبى الرسالة التي اخذتها من الضباط . فلما وقع نظرها عليها وكانت لا تزال مسرورة باطلاق الاسير قرأتها بدون تروء وقالت معناها « اذا بلغ الفرنسيون منسك خسرونا كل شيء » . وما كادت تتم العبارة حتى امتنع لونها فصاحت آه ماذا فعلت فقد خنت وطني . اما انا فتبسمت وقلت لا يشقّ ذلك عليك فلست بأول شخص امتلكه جيرار . ولم يكن الوقت يسمح لي بأن اغازلها فتركته وناديت رجالي للتقدم الى منسك وقد تحققت من الرسالة ان منسك لاحامية فيها وايقنت ببلوغ المرام . ولما بلغنا المدينة توجهنا رأساً الى دار بلديتها حيث القمح المخزون فتركنا جنودي خارجاً ودخلت مع اثنين من الضباط فقط . ولكن لم تطأ اقدامنا داخل البناية حتى ظهرت امامنا فرقة من الجنود الروسية قابلتنا للحال بطلق ناري من بنادقهم فسقط رفيقاي الى الارض ودخلت رصاصتان في رداي واخرى في قبعتي . فصحت بجنودي وقد ارتددت اليهم لكنني لم أبلغهم حتى رأيت ابواب البناية تفتح ويخرج من جميع جهاتها كتائب من القوزاق سدوا علينا المنافذ وحاولنا اختراق الطريق فلم نفلح لكثرة عددهم وما كدت اصل الى فرسي حتى اجتمع عليّ بعض جنودهم فألقوني في الارض واخذ احدهم رأسي بين يديه فضرب به الارض مراراً حتى عدت رشدي . ولما أفتت وجدت نفسي أسيراً في ايديهم ورأيت اكثر من نصف رجالي مطرّحين على الثرى والباقيين محاطين بالجنود الروسية فوددت أن اتحر لو كان بيدي سلاح تخلصاً من تلك الالهانة التي نزلت بي . وتذكرت المارشال ناي واعتماده عليّ ثم سقطني في هذا الفخ بدون تروء فانحدرت

دمعة محرقة على وجنتي وراها أسري وكان وحشاً ضارياً بصورة انسان قبيح المنظر فقهه ضاحكاً وقال لم اكن أظن ان ذلك القائد الكرسي يأتي ليفتح بلادنا بصبيان كبار يكون عند الشدة . فتملمت تأثراً ونظرت اليه باحتقار وقلت لو ساعدني الحظ لمقابلتك شخصياً ونحن متساويان كنت أجيبك على كلامك هذا . فقال لا أمل لك في ذلك لان رئيسنا لا يبيحك هنا الى الصباح . ولما قال ذلك صدرت الاوامر فأحاطوا بالاسرى واركبوني على فرسي فيوليت وكأنها عرفت ما أصابني فظهر عليها الانكسار الشديد وقادونا الى خارج المدينة . فسرنا في ذلك السهل الثلجي بمنتهى الحزن وزاد على ذلك تصرف الضابط الفظ . فانه كان يرفع سوطه احياناً ويضرب من تخلف من عساكرنا كأنه يقود قطعاً من الحيوانات العجم . وأفضى بنا المسير عند منتهى النهار الى قرية علمت انهم ينوون المبيت فيها ومررنا امام بيت عرفته للحال انه بيت صوفيا الذي جئته في الصباح ظافراً وفي المساء أسيراً فأظلمت الدنيا في وجهي . غير ان حالة الجندي لا تكون الا كذلك فيوماً ينتصر ويوماً ينكسر ويكون يوماً في نعيم ويوماً في جحيم وتارة أميراً وطوراً أسيراً فهو في قلب دائم لا يثبت فيه سوى الشجاعة والشرف

وترجلت الجنود الروسية فامرهم الضابط ان يتفرقوا بالاسرى في المنازل واصدر الاوامر المشددة بالمحافظة عليهم لكي لا ينجوا احد . وكان اهل القرية قد تألبوا علينا وهم يرقصون ويعزفون سروراً لفوز جنودهم ورأيت بينهم صوفيا ووالدها . فلما وقع نظرها علي كتمت سرورها ثم اقتربت من الضابط وكتبت بكلام لم اسمعه فنظر الي ثم هز رأسه بما يشير الى الابهاء . ولما ألت عليه كثيراً اقترب مني وقال هذه الفتاة تطلب ان تبني الليلة في دارها وكنت اوثر ان تبني في الصحراء لكي تعاد منذ الآن مناخ سيبيريا ولكني سأجيب طلبها بشرط ان يكون سجنك دهليزاً في اسفل البيت وان تعديني بشرفك ان لا تحاول الهرب . قلت لا اقبل لك منة فلا اعدك شيئاً . قال ستنام اذا هنا على الطريق وعسى ان ترى في سريرك الثلجي ما يريحك في نومك . وقبل ان يبتعد عني عادت صوفيا الى التوسل والالاح ثم

قالت له ان هذا الرجل قد اسر اليوم في بيتنا الضابط بارا كوف ثم اطلقت كراماً منه فلا اود ان يكون للفرنسويين فضل علينا ولا اقل من دهليز نحرسه فيه يقية قرص البرد والموت . ثم ظهر من البيت بارا كوف نفسه وكان لا يزال فيه حسب وعده لي في الصباح فأيد كلام الفتاة وساعدها في اللاح على الضابط حتى اقنعه ولكنه اصر على ان اعده بعدم محاولتي الفرار فابيت . فتقدمت الفتاة ونظرت الي بغنج وقالت عدني انا بذلك . فقلت لك ما تريدن واقسمت لها اني لا احاول الفرار . فصقت سروراً وسارت امامي مع والدها فتبعتهما مع الضابط الى ان دخلنا البيت فنزلنا سلماً اوصلنا الى قبر بارد تحت الارض قد نُصِّدت فيه الاخشاب والحطب وبقي في وسطه فسحة صغيرة اقاموني فيها واخذ الضابط مصباحاً تفقد بنوره جوانب القبر ثم قال لي اتنى لك يوماً سعيداً في هذا الفندق الذي هو احسن ما يمكننا تقديمه لكم وعسى في غارتكم الثانية ان تلاقوا بلاداً تستقبلكم باحسن من استقبلنا . ولما قال هذا خرج بعد ان اوصى الفتاة ووالدها بان لا يكلماني ولا يقدموا لي شيئاً من المأكول والمشروب

ولما اقبل علي باب سجنني وقفت حزينا لحبوط مسعاي وقد تمثل لي حال الجيش الذي تركته وهو على شرف الهلاك من عدم القوت ثم اخذت افكر اذا اوصلوني في الغد الى القائد العام وارسلني الى سيديريا فاذا يحل بوالدي . وما زلت كذلك الى ان شعرت بوقع اقدام تقرب مني ثم سمعت صوتاً يقول خذ كل واشرب وتقو وابق مستيقظاً مستعداً . فتبينت المتكلم بنور المصباح الضعيف فاذا به بارا كوف الذي اطلقت سراحه في الصباح . وقبل ان استفسر معنى كلامه ترك لي شيئاً واخنتني فاقتربت مما اتى به فوجدته طعاماً فاخراً من اللحم وزجاجة من الخمر وكنت جائعاً جداً فالتهمت الطعام وجرعت الشراب فعادت الي قواي . وجالست أتفكر فيما قاله لي ان ابقى مستيقظاً حتى مضى القسم الاعظم من الليل فنبهني صرير المفتاح في القفل ثم فُتِح الباب فدخل منه شخص واقفله ثانية ولما اقترب مني وجدته صوفياً فسرت بقدمها . أما هي فاقتربت بتأن ثم قالت لي

هل صفحت عني يا كولونيل . فقلت كيف اصفح عن لا أدري له ذنباً . قالت ربما لم تعرف ذنبي فاعلم ان الرسالة التي ترجمتها لك كانت على عكس ما قرأته تماماً اذ كان مكتوباً فيها « دعوا الفرنسيين يأتون الى منسك فنحن في انتظارهم » فلو ترجمتها لك بنصها لنجوتم ولكني عكست لك المعنى فأصابكم ما انتم فيه الآن . اما أنا فما سمعت منها ذلك حتى استشطت غيظاً وهممت بأن اقول أو افعل شيئاً لكنها قاطعتني قائلة لا شك انك محب لوطنك وانك تحترم كل من يحب وطنه وأتيقن انك تطنب بمدح فعلاتي هذه وتسمرّ جداً اذا فعلت النساء الفرنسيات ما فعلته لو اتفق لمن مثل هذه الحال . ثم ألحت عليّ طالبة الصفح فلم يمكنني الا الاعجاب بذكاؤها فصفحت عنها . ثم ناولتني مفتاحاً وقالت يوجد وراء هذه الاخشاب باب فافتحه بعد خروجي واخرج منه ووراءه ممرّ طويل ينتهي بك الى حيث ينتظرك باراكوف بفرسك وسيفك فاركب وسر بحفظ الله ببلغك الله وجهتك سالماً . وكنت كمن يحلم فلم اكد اصدق ما سمعت ولكنني رميت بالمفتاح الى الارض وقلت لا . لا يمكنني الهرب . قالت ولماذا . قلت لاني اقسمت ان لا افر . قالت ولان اقسمت . قلت لك . قالت فانا احلك من قسمك هذا فاذهب واياك التأخر فقد قربنا من اواخر الليل . ولما ألحت عليّ اخذت المفتاح ثم ضمنت صوفيا الى صدري مودعاً وخرجت فما بلغت آخر الممر حتى رأيت باراكوف ينتظرني فناولني سيفي وساعدني على الركوب ثم قال قد اطلقت سراحي في صباح امس وطلبت مني ان اظهر عرفاني لهذه المنة لاول فرنسوي يحتاج الى مساعدتي فلا احقّ منك بذلك فاذهب بسلام واذكر اني قد برئت مما لك عليّ . ولم يهاني لاشكره فاغتنمت الفرصة واطلقت لقبوليت العنان وكأنها علمت ما انا فيه وسرّها اني نجوت فكانت تطير بي على تلك السهول الثلجية . واجتزت مراراً على بعض رجال الحرس فاعطيتهم الشعار (كلمة المرور) وكان قد القاه اليّ باراكوف فلم يعترضني احد وما زلت سائراً حتى بلغت مأمني

وما كدت اتحقق النجاة حتى سمعت وقع حوافر جواد ورائي وصوتاً يناديني

فوقفت انتظر القادم حتى انتهى اليّ فاذا به الضابط الذي اسرني فلم اهتم بالفرار من امامه . ولما حاذاني قال لقد خطر لي ان الفرنسيين لا يعباون بالشرف وعلمت انك ستنتك وعذك بعدم محاولة الفرار فبقيت مستيقظاً لاعلم ماذا تفعل واشكر الله انني تبعتك وقد عرفت كيف احرسك بعد الآن . قلت اقصر كلامك ايها الوغد واعلم ان الشرف لا يكون الا في الدم الفرنسي فانا لم اعدك بما ذكرت . قال ولكنك وعدت الفتاة التي اضافتك في بيتها . قلت نعم فهي التي لها الحق ان تطالبني بوعدتي . ولما قلت ذلك جردت سيفي في وجهه فصاح آه من الخائنة فانها هي التي اطلقت سراحك فسرى بماذا تجيب غداً وهي سائرة الى سيبيريا . ولم اسمع تلك الكلمة حتى افسعرت جسمي فكان جوابي ان طعنته بسيفي في شعر لحيته الكثيف فخرج نصل السيف من ظهره وسقط الى الارض واقويت بنفسي وراءه فوجدته قد اسلم الروح وبعد يومين من تلك الحادثة بلغت سمولنسك وانضمت الى بقية ذلك الجيش وقد كان يسير بين الثلوج تاركاً وراءه خطاً متصلاً من الدم والجثث وعُدَد الحرب فاقشعرت جسمي من ذلك المنظر الذي يفتت الفؤاد وهو الى الآن لا يفارق عيني ولا يزال يتابعني في احلامي

ولما بلغنا وارزوف كنا قد تركنا خلفنا كل مدافعنا وادوات النقل وثلاثة ارباع جيشنا ولكن شرف جيرار لم يتخلف . وقد قال بعضهم انني تقضت وعدي في الفرار من اسري فليحذر الذين يقولون ذلك امامي لان الحقيقة كما قلتها لكم الان وليست كما يرويها بعض ذوي الاهواء وليعلم الجميع ان جيرار مع تقدمه في السن لا يزال له ساعد يقوى على حمل السيف وانامل تستطيع الضغط على زند الغدادة في وجه الذي يتجاسر على تكذيبه او اهانتة

